رابطة برلمانيون لأجل القدس
Parliamentarians for Al-Quds

خرافة "البقرة الحمراء" الصهيونية: كيف تهدد الأقصى؟

رابطة برلمانيون لأجل القدس
سبتمبر/أيلول 2023

مقدمة

نشرت القناة ١٢ الإسرائيلية، تقريرًا حول جديّة الصهيونيّة الدينيّة في عدوانها الحالي على المسجد الأقصى المبارك لتأسيس الهيكل المزعوم، وتبني حكومة الاحتلال لهذا المخطط، وسيطرة تيار الصهيونية الدينية على دولة الاحتلال، وركّزت في تقريرها على خرافة التطهير عبر "البقرة الحمراء" لزيادة العدوان على الأقصى.

ويشكل طقس التطهير بـ "البقرة الحمراء" المخرج الأساس من عقبة الطهارة من النجاسة والتي تعد شرطًا لدى الحاخامية الرسمية لتوسيع اقتحامات الأقصى وهي العقبة التي تقف في وجه جماعات "الهيكل" لزيادة جمهور المقتحمين للأقصى.

وكرّس "معهد الهيكل" منذ تأسيسه قبل ٣٦ عاماً جهوده لتحقيق الطقس التطهري وإيجاد البقرة الحمراء، وتأسيس طبقة الكهنة التي يجب أن تديره، تخلل ذلك أربع إعلانات غير متحققة في ١٩٩٧ و٢٠٠٢ و٢٠١٤ و٢٠١٨، وفيما من المتوقع أن يكون الإعلان الخامس الذي قد يحتمل الفشل كما يحتمل النجاح خلال العام الحالي.

وفي حال تم طقس ذبح البقرة الحمراء، فإن الأثر المتوقع على الأقصى هو مضاعفة أعداد المقتحمين بنحو أربعة أضعاف، وهو ما يعني مضاعفة عديد قوات الاحتلال في الأقصى وزيادة مناطق تمركزها كذلك، وهو ما سيؤدي - إن حصل- إلى نقل المسجد من هويته الحالية كمقدس إسلامي خالص يتعرض لعدوان؛ إلى مقدسًا مشتركًا بين المسلمين واليهود، وهو ما يعني أن المواجهة على المسجد الأقصى ستكون أكثر إلحاحاً وتفجراً في الفترة المقبلة.

1

الصهيونية الدينية وجماعات المعبد:

تشكل جماعات الهيكل واجهة تيار الصهيونية الدينية في مسعاه لتأسيس "الهيكل"، وهو التيار الذي يعيد تفسير الصهيونية من كونها فكرة قومية لتحقيق وطن لليهود كشعبٍ مزعوم، إلى فكرة قومية ودينية في الوقت عينه، تحقق وطن قومي لـ"الشعب اليهودي" انطلاقاً من الرؤى الدينية التوراتية، وينقل الكيان الصهيوني من كونه كياناً سياسياً علمانياً إلى كونه كياناً سياسياً يهودياً ربانياً.

هذا التيار الذي كان هامشياً خلال نشأة الحركة الصهيونية وتأسيس الكيان، آخذٌ بالتوسع والصعود ليصبح الطليعة المقاتلة للاستيطان في الضفة الغربية، والطليعة التي تحاول حسم هوية القدس دينياً، والطرف الأقدر على فرض سياساته، خصوصاً وأن النواب المؤمنين بفكره يصل عددهم إلى ٢٧ في الكنيست الحالي من أصل ١٢٠ نائباً، ويسيطرون على ١٥ مقعدًا وزاريًا في حكومة نتنياهو المؤلفة من ٣٢ حقيبة، ويستهدف مقدسات إسلامية بعينها بالإحلال التام وفرض مقدسات يهودية في مكانها، وفي القلب منها المسجد الأقصى إلى جانب المسجد الإبراهيمي وقبر يوسف في نابلس ومسجد بلال بن رباح في بيت لحم إضافة إلى عدد من المقابر الإسلامية.

لماذا تعوّل جماعات المعبد على البقرات الحمراء؟

تواجه جماعات المعبد إجماعاً حاخامياً يمنع دخول اليهود إلى الأقصى لسببين: الأول أن بناء المعبد ودخوله محكوم بمجيء المخلص، والثاني هو شرط الطهارة الذي تجمع المرجعيات الحاخامية على عدم توفره في أي يهودي معاصر، واقتحام الأقصى سيشكل تدنيساً يجلب العقوبة الإلهية ما لم يحقق صاحبه شرط الطهارة.

ومصدر النجاسة الكبرى في تلك الشريعة هو لمس جسد يهودي ميت، أو الاجتماع مع جسده الميت تحت نفس السقف في بيت أو مستشفى، أو حتى دخول المقبرة، وهناك إجماعاً بأن هذه النجاسة الكبرى تشمل كل يهود العالم اليوم، وهذا السبب هو الذي يفسر رفض الحاخامية الرسمية لاقتحامات الأقصى، حتى أن أنصار الصهيونية الدينية أنفسهم ما زالوا يلتزمون به، ومن ضمنهم وزير المالية الصهيوني بتسلئيل سموتريتش.

ويلزم التطهر من هذه النجاسة رماد البقرة الحمراء، وهي بقرة لا بد أن تبلغ عمر عامين دون أن تظهر فيها أي شعرة مخالفة في لونها، وأن تكون خالية تماماً من أي عيب جسدي، ومن ثم تذبح وتحرق مع خشب الأرز وبعض من عروق عشبة الزوفة، ثم يخلط رماد هذا المزيج بماءٍ من مصدرٍ جارٍ، ثم يُنثر القليل منه نثراً على المصابين بنجاسة الموتى فيطهرون منها.

محاولات فرض طقس البقرة الحمراء:

عام ٢٠١٥ قرر "معهد الهيكل" تأسيس برنامج لتربية قطيع من البقرات الحمراء في فلسطين المحتلة، وزراعة أجنة مجمدة في رحم بقرة تربى في محاولة لتوظيف التقنية الحيوية لتحقيق النبوءة التوراتية في برنامج أسمته "تنشئة البقرة الحمراء في إسرائيل"، ونقل المعهد المشروع إلى الولايات المتحدة باعتبارها سوقاً أكبر لتربية الأبقار ولتوظيف شكلٍ أكثر تقدماً من التقنية الحيوية، وحصلت على الرعاية المادية من منظمة صهيونية يمينية تسمي نفسها "بناء إسرائيل" لها صندوق شقيق يمولها في الولايات المتحدة من تبرعات المسيحيين الإنجيليين، في ولاية تكساس الأمريكية.

يحظى هذا التيار بدعم حكومي واحتضان من قبل القيادات الصهيونية ورئيس الوزراء الحالي بنيامين نتنياهو، وحتى تلك الأطراف التي تصف نفسها بأنها علمانية تحالفت مع تيار الصهيونية الدينية وقدمت التسهيلات لخرافة البقرة الحمراء، كما جرى في الحكومات الائتلافية التي شكّلها غانتس مع نتنياهو، والتي شكّلها يائير لبيد، زعيم المعارضة "العلمانيّة" الحالي، مع نفتالي بينيت المنتمي لتيار الصهيونية الدينية، والتي جرى في عهدها استيراد البقرات، وتنظيم حفل استقبال لها في المطار، وتقديم مشروع لمتنزه على جبل الزيتون في القدس ليكون محل إقامة طقوس التطهير بالبقرة الحمراء.

ماذا لو تحقق طقس البقرة الحمراء؟

تحقق طقس التطهير يعني تحريك جمهور الصهيونية الدينية ليصبح فاعلاً في اقتحامات المسجد الأقصى وفي مخطط بناء "الهيكل"، ومضاعفة أعداد المقتحمين اليومية للمسجد أربع مرات، ومضاعفة أعداد المقتحمين كفيلة بنقل الأقصى من خانة المقدس الإسلامي الذي يتعرض للعدوان إلى خانة المقدس المشترك عملياً بين المسلمين واليهود، وسيعني أيضاً ضرورة إدخال أبواب جديدة وساحات انتظار وتأمين جديدة، وهو ما يفسر استطلاع شرطة الاحتلال لاستخدام باب الأسباط وساحة الغزالي شمال شرق المسجد الأقصى المبارك خلال الاقتحامات الكبيرة على مدى العام الماضي.

وبالنظر إلى متوسط عمر تلك البقرات، فإن أولاها مرشحة لدخول عمر الذبح في شهر ١٠-٢٠٢٣ في حال

بقيت مطابقة للشروط التوراتية، وآخرها مرشحة لدخوله في شهر ٤-٢٠٢٤، ومع الإدراك أن رماد بقرة واحدة كفيل بتحضير ما يكفي لتطهير كل يهود الكيان الصهيوني معنوياً لأن كمية الرماد المطلوبة لهذا الطقس صغيرة جداً، فإن موعد بدء دخول تداعيات هذا الانقلاب الجديد في حجم العدوان على المسجد الأقصى إلى الفعل هو ما بين عيد المساخر التوراتي في ٢٤و٢٥ من شهر آذار ٢٠٢٤ والمتقاطع مع الأسبوع الثاني من شهر رمضان المبارك، وما بين عيد الفصح التوراتي الذي يأتي بعده بشهر.

السياق السياسي

وضعت الحكومة الاحتلال الإسرائيلي الحالية والتي تعد أكثر الحكومات تطرفًا في تاريخ الاحتلال، الاستيطان في طليعة ملفاتها المهمة لتحقيق ذلك وتسريع التغيير الديموغرافي وضم الضفة، وتعمل على فرض الأمر الواقع وصولًا إلى ضم الضفة وإنهاء الوجود الفلسطيني وإخلاء الضفة الغربية من سكانها من خلال العمل عبر الجهة الرسمية الممثلة في الحكومة والجيش، والجهة غير الرسمية الممثلة في مجموعات المستوطنين، وتحمل أجندتها وبرامجها المعلنة وغير المعلنة رفع وتيرة التهويد في مدينة القدس المحتلة، وتروج لخرافة "البقرة الحمراء" التي تمهد لبناء "الهيكل" مكان المسجد الأقصى المبارك.

والعالم الذي يتحدث عن حلول سياسية، أصبح ينقاد خلف هذه العصبة الضاربة التخلف والعنصرية، وهو ما يعبر عن اختلال ميزان العدالة في العالم، وسببه القوى الكبرى اختارت أن تقف إلى جوار المشروع الصهيوني الاستعماري وتدعمه حتى النهاية، وفي ذروة الأزمة الإسرائيلية الداخلية الحالية والأزمة بين الولايات المتحدة والقيادات الإسرائيلية اليمينية المتطرفة لديهم استعداد لدعم إسرائيل دبلوماسيًا من خلال توسيع التطبيع وعسكريًا من خلال مد إسرائيل بأحدث الأسلحة والتقنيات، بينما المطلوب من الفلسطيني أنّ يظل مستكيناً ويتم مقاطعته إذا قاوم الاحتلال.

وينبغي على البرلمانات العربية والإسلامية والعالمية، التحرك وعدم الاستسلام لهذا التيار والعمل على إلزام إسرائيل بتنفيذ القرارات الدولية والأممية واحترام الوضع التاريخي والقانوني للمسجد الأقصى المبارك ومدينة القدس المحتلة.

وعدم التصدي لمخططات تيار الصهيونية الدينية يعني جر المنطقة إلى حرب دينية غير معلومة العواقب، وإدخال المنطقة في حالة عدم استقرار، وبمثابة تشجيع لحكومة الاحتلال على تسريع ضم الضفة الغربية المحتلة وإغراقها في مخطط استيطاني وتحويل المناطق الفلسطينية إلى جزر معزولة ومتناثرة غير مرتبطة ومتواصلة جغرافيًا، للقضاء على أية فرصة لتطبيق مبدأ حل الدولتين وقرارات الشرعية الدولية وإقامة الدولة الفلسطينية، والشروع في فرض التقسيم الزماني والمكاني للمسجد الأقصى وصولًا إلى اتخاذ خطوات عملية لبناء "الهيكل" المزعوم وتهويد القدس ديموغرافيًا.